الكتابة اللّسانيّة العربيّة وإشكاليّة المناهج

Arabic Linguistics Writing and Curriculum Problems

أ. هشام فرّوم♥

أ. عيسى مومني♥

تاريخ الاستلام: 13-09-2019 تاريخ القبــول: 26-05-2021

الملخّص: شكّلت المعرفة اللّسانيّة ثورة فكريّة تبوّأت بها مركز الصّدارة، وأصبحت قطب الرّحى في المعرفة الإنسانيّة؛ جعلت هذه الأخيرة دوما مدينة للسانيّات بفضل كبير سواء في مناهج بحثها، أم في تقدير حصيلتها العلميّة. وكان من صوّر هذه الثّورة الحداثيّة ما أفرزته المعرفة اللّسانيّة من مناهج متعددة، وآليات متنوّعة، اقتحمت بها دنيا النّص وبحثت في أسراره وخباياه الدّفينة. وأهمّ ما ميّز هذه المناهج خصوصا على الصّعيد النّقديّ العربيّ هجومها الشّرس على المناهج التّقليديّة، ومحاولة طيّ صفحة الماضي النّقدي لتطرح نفسها بديلاً حاسمًا مسلّحًا بالعلميّة والموضوعيّة، هدفه الأساسيّ وصف الأثر الأدبيّ والكشف عن مكوّناته. لكن تفحصا دقيقا ونظرا بتمعن يؤكد أنّ هذه المناهج لا تزال تتخبّط في غياهب القلق وعدم الاطمئنان في مساراتها ونتائجها. من هذا المنطلق، نسعى في هذه المقالة، للإجابة عن تساؤل محوريّ مفاده: هل تُعدّ المناهج النّقديّة الحداثيّة نقطة إضاءة للإبداع الأدبيّ، وخدمة لأبعاده وكشف لجماليّاته؟ أم أنّه كان في سبيل إرضاء تبعيّة فرضها بريق المنهج العلميّ؟

الكلمات المفاتيح: اللسانيات، العربيّة، إشكاليّة، المناهج، النّقديّة.

Abstract: Linguistic knowledge constituted an intellectual revolution that took center stage, and became the pole of human knowledge; Several, and various mechanisms, stormed by Dunya text and examined the secrets and hidden buried. The most important characteristic of these approaches, especially at the Arab critical level, is their fierce attack on the traditional curricula, and the attempt to turn the page of the critical past to

♥جامعة الشّاذلي بن جديد-الطّارف.hichamferroum@gmail.com، (المؤلّف المرسل).

♥جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة1.aissa-24@yahoo.fr

present itself as a decisive alternative armed with scientific and objectivity, the main objective of which is to describe the literary impact and reveal its components. However, careful examination and careful examination confirms that these curricula are still confused in the absence of anxiety and uncertainty in their paths and results? Or was it in order to satisfy the dependency imposed by the luster of the scientific method?

Keywords: Linguistics, Arabic, Problematic, Curriculum, Critical.

مقدّمة: إنّ الهدف الأسمى من اية نظريّة لسانيّة ليس التّرويج لنظريّة أو مذهب وإنّما هو محاولة لإدراك النّظام اللغوي في شكله واستعماله، وإدراك المجتمع الإنساني ومعرفته البشريّة التي تتجلى وراء اللغة، والوقوف على الظّروف والملابسات التي لها قيمتها في توجيه القضايا نحو منحى معيّن. فأين هي المحافظة التي تفرضها تركيبة الثّقافة النّقديّة اللسانيّة، وتفرضه عبقريّة اللغة العربيّة؟ وأين هي الاستراتيجيات التي ترسمها الأمم لحياتها؟ وأين هي إسقاطات اللسانيات التي تتوخى الجدوى وصورتها في الدّرس الغربي؛ وهي إسقاطات نفعيّة براغماتيّة، وإسقاطات علميّة تكنولوجيّة؟

إنّ هذه النّقاط ستظل قائمة ما لم يُستقرأ موضوع اللسانيات النّقديّة في الدّرس العربي، استقراءً علميًّا دقيقًا، وتوضع له قراءة مستفيضة تستقصي جزئياته، وتُنزل هذا الإسهام المنزلة التي يستحقها. وهو ما نعرض له في هذا المقال الموسوم بـ: "الكتابة اللّسانيّة العربيّة وإشكاليّة المناهج".

وكان من أسباب تناولنا لهذا الموضوع سببان رئيسان هما:

- اختلاف المحدثين من أصحاب الدّراسة اللغويّة الجديدة في مسائل عدة، وهي مسائل جوهريّة، وسبب الاختلاف يكون من المنطلقات؛ فإذا لم تراع هذه المنطلقات فإن التّباين حاصل لا محالة على الرّغم من الاتفاق على أن دراساتهم الجديدة علميّة؛
- هذه الطّرق في المعالجة النّقديّة أغفلت جملة من القضايا تتمثل في: عبقريّة اللغة وتغيّراتها المجهريّة، كما لا تُقيم وزنا للعقبات التي أدت إلى عرقلة مسار الدّرس اللساني العربي، وبعض القضايا التي أبعدت هذه المناهج عن طبيعة العلم كاعتماد التّأسيس لنظريّة أو رفضها على مثال واحد، وإغفال الظّروف والملابسات في توجيه القضايا التي يقال عنها إنّها علميّة، ويختبئ وراءه كل من يريد أن ينعت الدّرس

العربي بكل النّعوت السّيئة. ومن ثم فهو يصدر الأحكام من غير قراءة فاحصة للمسألة، أو مسح شامل لها في مضانها المختلفة.

لبلوغ مرامي البحث وأهدافه، نتناول القضايا الآتيّة:

1. عبقريّة اللغة، وتغيراتها المجهريّة: لقد أغفلت هذه المناهج، فكرة أنّ لكل لغة عبقريتها، ومن ثم اعتبرت مقولة ابن فارس في باب القول في أنّ لغة العرب أفضلُ اللغات وأوسعُها[1] مقولة مردودة؛ لأنها تجانب ما درج عليه أغلب الدّارسين من أنّ ما قبل "سوسير" دراسة تقليديّة لا ترتقي إلى مستوى العلميّة، وأنّ ما بعد "سوسير" هي الدّراسة العلميّة للغة. وبهذا أغفلوا النّحو العلمي وصفيا كان أم توليديا وهو الجزء الأهم من اللسانيات، وتبرز صورته في التّراث العربي عند الخليل بن أحمد وأتباعه من أمثال سيبويه، وابن جني، وغيرهم[2]. وفي الوقت الذي تبرز فيه قوّة مقولة "ابن فارس" التي تضع "المسألة اللغويّة في بعدها الكوني العامّ والعربي الخاصّ، ويمثّل هذا الوجه امتدادا يكمله وجه آخر من المشهد اللغوي؛ وهو الوجه الزّماني التّطوري. ومن هذه النّاحيّة نجد أنّ معدّل تعمير الالسّنة البشريّة يناهز الخمسمائة سنة، فما بلغ من اللغات هذا العمر فإن الأصل فيه أن يخرج من دائرة الاستعمال، ويكون امتداده في اللهجات المتفرعة منه لتحل مكانه وهذا الأمر هو توطئة ما نروم مساءلته من أمر اللغة العربيّة عبر القرون التي عمّرتها، والتي لا تجد لغة من لغات الدّنيا قد عاشت نظيرها.[3] وراح بعضهم يتحدّث عن عصبيّة "ابن فارس" للغة العربيّة ونسي الحديث عن رؤيته الحصيفة في إدراك "تضافر الوجهين الآنيّ والزّمانيّ في استشراف الممكنات المحتملة للغة العربيّة في مستقبلها، وهو أمر من المواضيع التي يجب التّعامل معها بغير التّواكل على أنّ لسان العربي هو لغة القرآن"[4]. ومن ثم فإنّ فكرة الانتصار للغة العربيّة عند "ابن فارس" قد عبرّ عنها بمنظور وصفي متجرّد يشهد به الوجه الآني والزّماني للغة العربيّة التي لم يحدث لها كما حدث للغة اللاتينيّة التي تغلبت عليها لهجاتها، كما يشهد به "اللساني المتأمل في تاريخ العربيّة اليوم؛ يستثيره سؤال جوهري هو: وفق أي ضوابط يمكن أنّ نفسر استثنائيّة اللغة العربيّة بين الالسّنة البشريّة؟ فظلت تستعمل وتؤدي وظيفتها في عصر اختفت فيه الالسّنة القديمة من أخوات العربيّة"[5]. إنّ المنطلقات السّليمة تؤدي إلى أحكام دقيقة، وربما ردّ الكثير من

الأحكام التي ورد فيها الكثير من الإجحاف الذي مسّ الدّرس العربي، وكشف أنّ النّقد في هذا المجال لم يكن نقدا موضوعيا، وإنّما كان دفاعا عن الأطر التي رسمها الدّرس الغربي والمتمثلة في القطيعة بين القديم والحديث. ومن ثمّ أغفلت هذه الدّراسات الخيار المنهجي الأوفق، وذهبت لتصب جام غضبها على من يرفض هذه القطيعة، وأغفلت أنّ للمسألة مقاربة أخرى أكثر وجاهة وانسجاما مع المنظور اللسانيّ الوصفي، وهي أنَّ ما شغل النّاس من مسائل اللغة هو ما يشغلهم اليوم. وبذلك فهي "تعود في أصولها إلى الهند واليونان الكلاسيكيتين مع تاريخ غني مثمر من الإنجازات"[6]. وهذا ما أثاره "سيبويه" في باب الاستقامة من الكلام والإحالة ولم يعط له اهتمام.[7] وحين ذكر التّوليديون أمثال هذه النّماذج من جملة "الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة" ظهرت لأوّل وهلة وكأنّها نظريّة جديدة في الوقت الذي هي امتدادات لرؤى قديمة. إنَّ الثّابت في مسار العلم أنَّ الدّرس اللساني لم يكن وليد الصّدفة بل ارتبط بتكون اللسانيات نفسها، وبمستجدات هذا العلم الذي يشبه وسيلة حضاريّة، كالهاتف الجوال أو غيره، من الجيل الرّابع أو الخامس، تؤدي وظيفة الجيل الأوّل وتزيد عليه. صحيح إنَّ النّظريات اللسانيّة غنيّة، وتقدّم استشرافات محدّدة في حقل واسع غير أنّها لا يمكن اختزالها إلى الفيزياء، أو أي علم آخر من العلوم الدّقيقة، وهذه الأخيرة نفسها تفتقد إلى الدّقة المتناهيّة، فهي لها قوانينها وتعميماتها الخاصّة، خاصّة إذا ما وجدنا، أنّ أصحاب العلوم الدّقيقة يذهبون إلى "أنّ الفيزياء أو الميكانيكا الخالصّة مستحيلة"[8]. وحتى ما قيل عنه إنّه بلغ حدّ الصّرامة في الدّراسة اللغويّة كعلم الأصوات فإنّ التّشكيك والزّهد الذي ارتاب بعض الدّارسين عدّ علم اللغة أو بعض فروعه كعلم الأَصوات اللغويّة "ترفا" علميا لم يحن الأوان بعد للانغماس فيه أو التّطلع إليه"[9].

2 . العقبات التي أدت إلى عرقلة مسار الدّرس اللساني العربي: ويضاف إلى إغفال الخيار المنهجي الأوفق في الدّراسات اللسانيّة العربيّة، اهتمام هذه الدّراسات في بدايتها بدراسة اللهجات، ودراسة الأصوات، فقد جرّ عليها تبعات كثيرة بالنّظر إلى الدّور السّلبي الذي كرّسه الاستعمار في البلاد العربيّة في اهتمامه بهذا النّوع من الدّراسة ووظّفه بعض المستشرقين، وبعض اللسانيين العرب توظيفا خرج به

عن مقاصده الخالصّة، فولج به في اعتبارات أخرى مغايرة[10]. وهكذا تكتمل الصّورة التي تختبئ وراء العلميّة في بعض الأحيان، ونشهد "كيف يحرّف الاستعمار منهجيا معادلة الفرد المستعمر، باستخدام أنواع العراقيل متعددة يصادفها الفرد في طريقه"[11].

3 . الاعتماد في التّأسيس لنظريّة أو رفضها على مثال واحد: ومن الأمور التي أبعدت هذه المناهج عن طبيعة العلم الذي تسير فيه الأحكام على نمط ثابت على الرّغم من أنّ المنهج (la méthode) هو الطّريقة التي يصل بها الإنسان إلى حقيقة، اعتمادهم في التّأسيس لنظريّة أو رفضها على مثال واحد، فلهذا فهم يمثلون لسلوكيّة "بلومفيلد"[12] التي طبقها على اللغة، وهي لا تخرج عن إيراد المثال المشهور الذي أورده، وهو المثال المعروف بـ "جاك" و"جيل"، و"التّفاحة"، من غير إيراد نماذج أخرى تدعمه [13].

4 . إغفال دور الظّروف والملابسات في توجيه القضايا التي يقال عنها علميّة: ومن الأمور التي يجب ألا تغفل في هذا الشّأن والتي أوقعت المناهج العلميّة لدراسة اللغة في كثير من المزالق، إغفال معرفة المنطلقات الحضاريّة للسان العربي في الوقت الذي لم يهمل هذا الجانب في الدّرس الغربي إذ إنّ "وجهة اللسانيات في أوربا هي وجهات ذات طبيعة إنسانيّة أي أنّ النّظريّة اللسانيّة ومناهجها المختلفة هنا قد صيغت أصلا لخدمة اللغة وآدابها، وأساليبها، وكذلك العلوم الإنسانيّة الأخرى، أمّا الوجهة اللسانيّة فهي وجهة ذات طبيعة تكنولوجيّة تقنيّة"[14]. وإنّ ما عجزت عن فهمه الدّراسات النّقديّة في اللسانيات العربيّة لم تغفله الدّراسات الغربيّة فكانت؛ إسقاطات علم اللسانيات البراغماتيّة هي إسقاطات إنسانيّة، وهكذا كانت وجهة اللسانيات في أوربا. أمّا الوجهة اللسانيّة الأمريكيّة فهي وجهة ذات طبيعة تكنولوجيّة تقنيّة فكانت إسقاطات اللسانيات النّفعيّة البراغماتيّة هي إسقاطات علميّة تكنولوجيّة[15]. وإنّ ما أغفلته مناهج الدّراسة في الأحكام الصّادرة على الدّرس العربي هو دور الظّروف والملابسات في توجيه القضايا العلميّة، في الوقت الذي نجد فيه أنّ الدّرس الغربي قد طوّع هذه العلميّة وفق الوجهة الصّالحة بها واحتفى بالظّروف المحيطة بها لذلك نجد بعض أوجه الاختلاف بين بعض تجليّات الحداثة في أمريكا، والنّسخة الأوربيّة، وخاصّة في جانبها الفرنسي الاختلاف هنا لا ينشأ كما يوصي "بيرلمان" عن الرّغبة

الأمريكيّة في رفض ما هو دخيل أو مستورد، ولكنّه اختلاف تفرضه تركيبة الثّقافة الأمريكيّة ذاتها، وهو الميل الأمريكي للحفاظ على ذات حرّة موحدة وتلقائيّة وشبه ديكارتيّة بأي ثمن[16]. إنّها الاستراتيجيات التي ترسمها الأمم لحياتها، وتفرضه تركيبة الثّقافة العربيّة، وعبقريّة لغتها. وهكذا أخذت الظّروف والملابسات مكانتها في توجيه القضايا نحو منحى معيّن، حتى في القضايا التي يقال عنها إنّها علميّة.

5 . مناهج الدّراسة اللسانيّة العربيّة وغلبة فلسفة معيّنة: إنّ الدّراسات اللسانيّة في العالم العربي جاءت تحت تأثير فلسفة معيّنة، وهي فلسفة الالتّحاق بالرّكب الغربي، ومن ثم غلب عليها الارتجال الذي لا يميّز بين النّافع والضّارّ، وهذا أشبه بالتّفسيرات التي جاءت تحت تأثير النّزعة العلميّة في أوربا في العصر الحديث فحين فسّر محمّد عبدة "الطّير الأبابيل" تحت تأثير هذه النّزعة نعتها بـ"الجراثيم" وكأنّه أراد أن يجاري العصر، ويهوّن على الله أن تصدر منه مثل هذه المعجزة، على الرّغم من أنّ الذين عايشوا هذه الحادثة، وحضروا نزول الوحي لم يطرحوا هذا، أو تعرضوا له، ومنهم من هو أشد عداء للدعوة، والقوم ساعتها لا يعرفون "الميكروب" فهذا عُرف أيام "باستور". وإنّما كانوا يعرفون "طيرا" بمدلول طير، و"أبابيل" بمدلول أبابيل و"حجارة" بمدلول حجارة. والتّعابير القرآنيّة تضع كل لفظ في مكانه، وما دامت "الفاء" تعقيبيّة، يبقى ادعاء من قال بالمكروب باطلا في هذه المسألة[17]. وتحت تأثير هذه الفلسفة جاء الاعتقاد بأنّ اللجوء إلى الوصف المجرد من كل تعليل هو وحده يكفل نجاح البحث، وتوالتّ بعده التّعسفات الفلسفيّة الميتافيزيقيّة التي أصابت الدّراسات اللغويّة منذ زمن بعيد، وأصبحت معها الدّراسة مجرد احصاء للمدونة، وزعم أصحاب هذه الرّؤيّة "أنّ البحث الصّحيح هو الذي يقول: كيف؟، ولا يقول لِمَ؟ لأنّ مفعول العلة ميتافيزيقي، ثم يأتي الظّن في الأيام الأخيرة بأنّ السّلوك اللغوي هو الذي يستحق وحده أن يؤخذ بعين الاعتبار في المشاهدات والعمليات الوصفيّة أو ما توارى من الظّواهر[18]. ومن ثمّ وجب تنقيّة المصطلح الوافد من عوالقه الثّقافيّة الغربيّة، والذي أنتجته ظروف معيّنة، ومناخ فكري، واجتماعي، وسياسي، وهو الذي أنتج المصطلح الغربي في المقام الأول، وهو المناخ الذي يمثل الخلفيّة المرجعيّة الدّائمة للمصطلح[19]. وهذا ما تؤكده الوقائع، وتشهد به الأحداث، وتقول به الاستقراءات

وتنطق به الأحكام خلال مرحلة تاريخيّة طويلة "فكانت تطورات الفكر الفلسفي الغربي عبر ثلاثة قرون والتّحولات المعرفيّة التي صاحبت ذلك التّطور تسير في اتجاه واحد حتمي، وهو ظهور الدّراسة اللغويّة كعلم مستقل بذاته، له قوانينه وقواعده التي تحكم عمل عالم اللغة الذي استخدم أدوات المنهج التّجريبي في علميّة لا تقل وإن لم تكن تزد عن علميّة الدّراسات النّفسيّة التي كانت قد أكدت وجودها وأصبحت الظّروف والوقائع مهيأة لظهور ما يسمّى بالنّموذج اللغوي، دروس سوسير، الذي سيتكفل البنيويون فيما بعد بتطويره ليصبح أساس المقاربة النّقديّة البنيويّة للنصوص الأدبيّة[20]. وهكذا رسمت المناهج الغربيّة طرق البحث، وحددت أطرها، وترتب عنه بعض الأوهام في الحكم على اللغة العربيّة بأحكام ليست دقيقة، وهفوات غير منهجيّة سقط فيها الوصفيون العرب في نقدهم للنحو العربيّ، ومقولة تأزم العربيّة استراتيجيا لتزيد الأمر غموضا. لهذا وجب فرز الأصيل من الدّخيل، واستخراج الخفي من الجلي.

أ . تخليص الأذهان من بعض الأوهام: وتتمثل في اعتقاد بعضهم أنّ اللغات القديمة تتوفر على أكبر عدد من الأحوال التّصريفيّة والعلامات الإعرابيّة. وحكموا مثلا على اللغة العربيّة بأنّه ليس لكلماتها أصل ونسوا أنّهم إنّما أخذوا المصطلح الأوّل الأصل أو الجذر من الكلمة العربيّة الجذر وقت اطلاعهم على ما ترجم في القرن السّادس عشر من كتب النّحو العربي قبل أن يطلقوا على ما يشبه ذلك في نظريّة الهنود[21].

ب . الهفوات التي سقط فيها الوصفيون العرب في نقدهم للنحو العربي: وكانت الهفوات التي سقط فيها الوصفيون العرب في نقدهم للنحو العربيّ غير منهجيّة، ونقدهم لم يكن نقدا موضوعيا، إنّما كان دفاعا عن المنهج الوصفي ووسيلة لتسويغ اللجوء إليه في الوقت الذي استمر الفكر النّحوي العربيّ مصدرا أساسيا لكثير من الكتابات الوصفيّة العربيّة، وعجز هذا النّقد عن دحض الأطروحات التّقليديّة.

وبهذا حجب هؤلاء الرّواد المعرفة اللسانيّة الحديثة بكتبهم التي ألفوها في إطار المدرسة الوصفيّة[22]. وكان أتباع المدرسة الوصفيّة "يسخرون من آراء اللغويين العرب في تقدير أصل بنيّة عميقة تخالف ظاهر اللفظ البنيّة السّطحيّة"[23]؛ أي ضرورة تقدير

بنيّة عميقة في بعض الأحيان تختلف عن ظاهر اللفظ لتفسير ظواهر لغويّة لا يمكن تفسيرها دون ذلك التّقدير، كالقول: إنّ أصل قال قَوَلَ، وأصل باع بَيَعَ. إنّ حجب المعرفة اللسانيّة الحديثة كان بسبب التّشبث ببعض الرّؤى وكأنّها مسلمات لا يمكن تجاوزها. يضاف إليها إقصاء النّتاج التّقليدي من مجال التّفكير اللساني، وتحديده في إطار تيار البنيويّة، وإطار النّحو التّوليدي التّحويلي. وبهذا اعتبر أنّ التّفكير في خصائص اللغات الطّبيعيّة لم يأخذ الطّابع العلمي إلاّ في بداية القرن العشرين مع رواد كـ "سوسير"[24].

ج . مقولة تأزم العربيّة استراتيجيا: إنّ اللغة التي نزل بها القرآن معجزاً بقي منها شيء يستحقّ أن يكون شاهداً على هذا ودليلاً، وهو الشّعر الجاهلي، لهذا أقام الباقلاني نصرته للقرآن اعتمادا على هذا الشّعر "حتى إذا انتهى إلى الذي هاجه، من موازنة القرآن ببعض الأشعار، هب إلى تسفيه هذه الموازنة، فدعاك في أوسط كتابه أن تعمد معه إلى ما لا تشك في جودته من شعر امرئ القيس، وما لا ترتاب في براعته، ولا تتوقف في فصاحته، فطرح بين يديك هذه القصيدة، وجعل يفصلها وينقدها ويمحو من محاسنها ويثبت"[25]. إنّ الدّافع للتعريج على هذه الأقوال هو النّظرة القائلة بأنّ اللغة هي ما يتحدث به أصحابها فقط، مثلما نجد في النّظريّة البنويّة الوصفيّة، وهي دعوة إلى دراسة المنطوق وإهمال المكتوب وهذا مكمن الخطر في هذه النّظريّة[26]. إنّ المفارقة واضحة في الدّراسات الغربيّة بين ما بشّرت به النّظريّة، وبين ممارسة أصحاب تلك النّظريّة: سابير، بلومفيلد، فريز، وغيرهم. ففي الوقت الذي يبشرون فيه بدراسة المنطوق وإهمال المكتوب، نجد الدّراسات في أمريكا التي انصب اهتمامها على جمع المادة اللغويّة للهنود الحمر من بعض أفراد تلك القبائل، تعتمد على دراسة المنطوق لكون تلك اللغات غير مكتوبة، فلم يكن أمام الباحثين غير الاعتماد الكلي على كلام الأفراد من تلك القبائل. أمّا في دراستهم للغة الإنكليزيّة وبعض اللغات الأوروبيّة الأخرى، فلم يكن لهم نفس المنهج" ففي الوقت الذي أكدوا فيه اختلاف اللغة الإنكليزيّة مثلا في عصرهم عنها قبل ذلك بأكثر من قرن من الزّمن، لم يعتمدوا على الكلام في وصفهم للغة الإنكليزيّة ووضع قواعدها، بل اعتمدوا على نمط واحد من أنماط الاستعمال اللغويّ للمثقفين ثقافة جامعيّة"[27]. وهذا قام به

"فريز" عام 1940 بالإعلان في مدينة الجامعة التي كان يعمل فيها عن مشروع لدراسة الأنماط اللغويّة بين الجامعيين فيها، وقد استثنى من تلك المراسلات كل تركيب أو استعمال اعتبره مخالفاً لما يُدرّس في المدارس"[28]. إنّ ما فعله (سوسير) جدير بالاهتمام من خلال تفريقه بين اللغة كما يستعملها النّاس في الواقع "parole" وبين ما يمكن استخلاصه من قواعد اللغة بشكل مجرد "langue" فخلص إلى أنّ "parole" متنوع، ويمتاز بعدم الانتظام، إضافة إلى كونه متقلباً وغير ثابت، على العكس من "langue" فهو يمتاز بالانتظام، والاستمراريّة النّسبيّة في ثبات أنماطه، لهذا فهو يقول:

(Il faut, se placer de prime abord sur le terrain de la langue et la prendre pour norme de toutes les autres manifestations du langage).

أي: يجب أن نحصر اهتمامنا في ميدان اللغة، وأن نتخذها قاعدة للحكم على جميع مظاهر الكلام الأخرى[29]. وعليه فقد عمد "سوسير" إلى الاعتماد على " langue " في وصف اللغة ووضع قواعدها، وأكد أنّ هذه هي النّاحيّة التي تستحق اهتمام الباحث اللغوي، ذلك لأنّ وحدة اللغة والأمّة تظهر هنا بينما يظهر التّباين والاختلاف في "parole" وتبدو الأمّة متفرقة إذا اعتمِد في البحث[30]. ومن هنا يمكن القول: إنّ الكثير ممّا يروّج له لا يسري على العربيّة؛ لأنّ العربيّة أكثر انتظاما واتساقا عبر حدود البلدان العربيّة، فبينما نجد معجما للإنكليزيّة البريطانيّة، وآخر للإنكليزيّة الأمريكيّة، لا نجد معاجم مختلفة لفصحى العربيّة لمنطقة أو دولة ما.

وحتى ما يروج له من أنّ أزمة العربيّة متأتيّة من سيطرة لهجاتها، فكرة لا تستقيم إذ إنّ العرب في تاريخهم القديم في الجزيرة العربيّة لم يعرفوا لغة واحدة، بل كانوا أصحاب لهجات متفرقة، وأنّ خلق لغة فصيحة كان بتغليب لغة أهل الحجاز باعتبارها الأكثر تواترا، والأكثر شهرة، والقرآن بها. وتتناثر فيه ألفاظ كثيرة لقبائل عديدة. فضلا على أنّ "اللغة العربيّة من أكمل اللغات السّاميّة وأتمها في باب معاني الفعل الزّمنيّة" كما يؤكد "برجشتراسر" في كتابه التّطور النّحوي للغة العربيّة[31]. ومن أقدر اللغات على "وضع المصطلحات وتوليدها واشتقاقها، ونحتها، وتطويرها، وذلك للعلاقة القائمة بين الصّيغ الصّرفيّة العربيّة، والمفاهيم العامة للوجود"[32]. ممّا يضمن

لها مواكبة تكنولوجيا الحاسوب. أمّا الكتابات التي حَشرت العربيّة في إطار غريب فهي نابعة من القياس على اللغة اللاتينيّة والإغريقيّة (اليونانيّة القديمة) أو ما يسمّونها باللغات الكلاسيكيّة، وهو أمر واهن. وإنّ الذين يروجون لفكرة تأزم العربيّة استراتيجيا نسوا أنّها لغة تُعقد بها المؤتمرات وتُكتب بها الفنون، وتُصاغ بها نشرات الأخبار، ويستمتع بها اليافعون وهم يتابعون أفلام الكارتون، ويصدمك السّفراء الأجانب وهم يطلون عليك من القنوات الفضائيّة يكلمونك بلغتك العربيّة، ويعجبك المختصون وهم يباهون بها غيرهم في الملتقيات العلميّة. واللغة العربيّة اليوم تنافس اللغات الأكثر انتشارا في العالم بفضل عدد النّاطقين بها، وبفضل عدد المسجلين لدراستها في المعاهد الجامعيّة، وعدد الرّاغبين في تعلمها في الجامعات العربيّة.

قائمة المراجع:

1-أحمد المتوكّل، اللّسانيّات الوظيفيّة، مدخل نظريّ، منشورات عكاظ، الرّباط المغرب، 1988.

2-التّهامي الرّاجي، توطئة لدراسة اللغة، التّعاريف، دار النّشر المغربيّة، ط1 1977.

3-حسين السّوداني، لماذا عمّرت "العربيّة" ومات غيرها؟، مجلة العربي، الكويت العدد 710، يناير 2018.

4-حلمي خليل، هامش كتاب نظريّة تشومسكي اللغويّة، جون ليونز، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط1، 1985.

5-حمزة بن قبلان المزني، حوار له، أسئلة اللغة وأسئلة اللسانيّات، حافظ إسماعيلي، وليد العناني.

6-داوود عبدة، حوار له، أسئلة اللغة أسئلة اللّسانيّات، حافيظ إسماعيلي، وليد العناني.

7-دي سوسير، دروس في الالسّنيّة العامة، ترجمة: صالح القرمادي وآخرون الدّار العربيّة للكتاب، 1985.

8-زكريا أبو حمديّة، من مقال بعنوان: اللغة العربيّة والحدة القوميّة، المستقبل العربي، السّنة العاشرة، العدد 106، ديسمبر 1987.

9-سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3، 1988، ج1.

10-عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، موفم للنشر، 2007، ج1.

11-عبد الرّحمان الحاج صالح، حوار له، أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيّان، حافظ إسماعيلي، وليد العناني، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرّباط، المغرب، الطّبعة الأولى، 2009.

12-عبد السّلام المسدّي، اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة، الدّار التّونسيّة للنشر المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986.

13-عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيويّة إلى التّفكيك، عالم المعرفة الكويت، ذو الحجة 1418هـ، نيسان 1998.

14-عيسى مومني، بيبلوغرافيا اللّسانيّات، قراءة في أوّل مؤشرات المحاورة ومداخل السّياقات المعرفيّة اللسانيّة، دار العلم، الحجار، عنابة، الجزائر، 2012.

15–ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة ومَسائِلها وسُنَنِ العَرب في كلَامِها، علّق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمّد علي بيضون دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى 1418 هـ . 1997 م.

16–مازن الوعر، أسئلة اللغة أسئلة اللّسانيّات، حافظ إسماعيلي علوي، وليد العناني.

17–مازن الوعر، قضايا أساسيّة في علم اللّسانيّات الحديث، مدخل، دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر، 1988.

18–مالك بن نبي، شروط النّهضة، ترجمة: عبد الصّبور شاهين، تقديم: محمّد عبد الله دراز، ومحمّد شاكر، دار الفكر، ط4، 1987.

19–محمّد الملاخ، الزّمن في اللّغة العربيّة–بنياته التّركيبيّة والدّلاليّة، ناشرو ط1 2009.

20–محمّد متولي الشّعراوي، المختار من تفسير القرآن الكريم، دار الشّهاب الجزائر، ج1.

21–محمود السّعران، في علم اللّغة العام، مقدّمة للقارئ العربيّ، دار النّهضة بيروت، دت.

22–محمود محمّد شاكر، تقديم لكتاب الظّاهرة القرآنيّة، مالك بن نبي، دار الفكر ط4، 1987.

23–نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسن دار الحوار للنشر والتّوزيع، اللاذقيّة، سوريّة، الطّبعة الأولى 2009.

الهوامش:

1–الصّاحبي في فقه اللغة العربيّة ومَسائِلها وسُنَنِ العَرب في كلَامِها، علّق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى 1418 هـ . 1997 م، ص:19.

2–عبد الرّحمن الحاج صالح، حوار له، أسئلة اللغة أسئلة اللّسانيّات، حافظ إسماعيلي علوي، وليد العناني، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2009، ص85.

2–حسين السّوداني، لماذا عمّرت "العربيّة" ومات غيرها؟، مجلة العربي، الكويت يناير 2018، العدد 710، ص9.

3–المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

4–م ن، ص95.

5–نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتّوزيع، اللاذقيّة، سوريّة، الطّبعة الأولى 2009، ص:33.

6–سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3، 1988، ج1، ص:25، 26.

7–نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ص: 22 وما بعدها.

8–محمود السّعران، في علم اللّغة العام، مقدّمة للقارئ العربيّ، دار النّهضة بيروت، دت، ص23.

9-عبد السّلام المسدّي، اللّسانيّات وأسسها المعرفيّة، الدّار التّونسيّة للنشر المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986، ص16.

10-مالك بن نبي، شروط النّهضة، ترجمة: عبد الصّبور شاهين، تقديم: محمّد عبد الله دراز، ومحمّد شاكر، دار الفكر، ط4، 1987، ص156.

11-يقولون: نفترض أنّ "جاك" و"جيل" يسيران في طريق، و"جيل" تستشعر الجوع، ترى "جيل" تفاحة على شجرة، فتحدث ضجّة، حنجرتها، ولسانها، وشفتيها فيقفز "جاك" من على السّور، ويتسلّق الشّجرة، ويقتطف التّفاحة، ويحضرها لجيل ويضعها في يدها. فتأكل "جيل" التّفاحة. يقولون: إنّ السّلوكيّة لا تتجاهل بعض ما نسمّيه بالعناصر الاجتماعيّة، ولكنّها تعبّر عنها بمصطلحات خاصّة. إنّها لا تتجاهل في الحقيقة شخصيّة المتكلّم، وشخصيّة السّامع، وبعض الظّروف المحيطة بالكلام. وبهذا فهم يلتمسون العذر لنقص في التّقعيد في الدّراسات الحديثة، ولكنّهم لا يعفرون هذا في الدّراسات القديمة. محمود السّعران، في علم اللّغة العام، مقدّمة للقارئ العربي، مرجع سابق، ص305.

12-عيسى مومني، بيبلوغرافيا اللّسانيّات، قراءة في أوّل مؤشرات المحاورة ومداخل السّياقات المعرفيّة اللسانيّة، دار العلم، الحجار، عنابة، الجزائر، 2012 ص148.

13-مازن الوعر، قضايا أساسيّة في علم اللّسانيّات الحديث، مدخل، دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر، 1988، ص19، 22.

14-المرجع السّابق، الصّفحة نفسها،

15-عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيويّة إلى التّفكيك، عالم المعرفة الكويت، ذو الحجة 1418هـ، نيسان 1998، ص73.

16-للتفصيل أكثر يُنظر: محمّد متولي الشّعراوي، المختار من تفسير القرآن الكريم، دار الشّهاب، الجزائر، ج1، ص64 وما بعدها.

17-عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، موفم للنشر، 2007، ج1، ص17، 18.

18-عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيويّة إلى التّفكيك، مرجع سابق ص63.

19-المرجع السّابق، الصّفحة نفسها.

20-التّهامي الرّاجي، توطئة لدراسة اللغة، التّعاريف، ص65. انظر أيضا كتاب:

100 fiches pour comprendre la linguistique, fiche8. (L'on considère les notions de racine et de flexion. Telles qu'on les trouves dans la grammaire européenne a partir du XVI°. Sont d'origine arabe.)

21-حمزة بن قبلان المزني، حوار له، أسئلة اللغة وأسئلة اللسانيّات، حافظ إسماعيلي، وليد العناني، ص55.

22-داوود عبدة، حوار له، أسئلة اللغة أسئلة اللّسانيّات، حافيظ إسماعيلي، وليد العناني، ص66.

23-سادت لدى مؤرخيّ اللّسانيّات المعاصرة فركة أنّ النّتاج اللّسانيّ المعاصر يندرج في إطار مدرستين لسانيّتين: مدرسة تصنيفيّة، ومدرسة يسعى أصحابها إلى مجاوزة الوصف الصّرف إلى التّفسير. ويمثّل هاتين المدرستين في نظر هؤلاء المؤرخين تياران سائدان: تيار البنيويّة يقتصر في

أغلب الأحوال على جمع المعلومات اللّغويّة وتصنيفها في مختلف المستويات؛ أصوات، صرف، وتركيب. والتيار الثّاني يشكّل محاولة لمجاوزة الظّواهر إلى تفسيرها؛ وهو أساس النّقد الذي وجّهه تشومسكي للبنيويّة. انظر: أحمد المتوكّل اللّسانيّات الوظيفيّة، مدخل نظريّ ص10.

24–محمود محمّد شاكر، تقديم لكتاب الظّاهرة القرآنيّة، مالك بن نبي، دار الفكر ط4، 1987، ص44، 45.

25–ممّا يلفت النّظر أنّ الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة، قد قامت على احترام اللّغة المنطوقة؛ لهذا مثّل مبدأ السّماع الوسيلة المعتمدة عند علماء العربيّة في جمع المادة اللّغويّة. فكان عمل اللّغويّ شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأمّا النّحويّ فشأنه أن يتصرّف فيما ينقله اللّغويّ ويقيس عليه كما يقول السّيوطي في المزهر: يضاف إلى ذلك أنّ القراءات القرآنيّة كانت متواترة بالتّلقي الشّفهي؛ ولذا كان الدّرس الصّوتي للعربيّة جزءا أصيل من التّجويد الذي أدّى إلى تحديد مخارج الحروف وصفاتها. انظر: حلمي خليل، هامش كتاب نظريّة تشومسكي اللغويّة، جون ليونز دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط1، 1985، ص42، 43.

26–زكريا أبو حمديّة، من مقال بعنوان: اللغة العربيّة والحدة القوميّة، المستقبل العربي، السّنة العاشرة، العدد 106، ديسمبر 1987، ص86، 123.

27–المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

28–صالح القرمادي وآخرون، دروس في الالسّنيّة العامة، ص29.

29–زكريا أبو حمديّة، اللغة العربيّة والوحدة القوميّة، المستقبل العربي، مرجع سابق، ص86، 123.

30–محمّد الملاخ، الزّمن في اللّغة العربيّة–بنياته التّركيبيّة والدّلاليّة، ناشرو ط1 2009، ص45.

31–مازن الوعر، أسئلة اللغة أسئلة اللّسانيّات، حافظ إسماعيلي علوي، وليد العناني، ص134.